(( تَعَرَّفْ إِلَى اللَّهِ فِي الرَّخَاءِ ))

د. عبدالله بن محمد حفني

إمام وخطيب جامع هيا العساف بالجميزة

موقع جامع هيا العساف :

<http://www.hayaalassaf.com>

القناة الرسمية على اليوتيوب :

<https://www.youtube.com/channel/UCq3VB0Xi1Zorm3_Hje4JaCw>

الأولى

تَعَرَّفْ إِلَى اللَّهِ فِي الرَّخَاءِ يَعْرِفْكَ فِي الشِّدَّةِ

صافحنا بالأمس عاماً هجريّاً جديداً ودخول عام وخروج عام بعدٌ من الدنيا التي ولت مدبرة ودنوٌّ من الآخرة التي أتت مقبلة.

دخل الدنيا أُناس قبلنا رَحَلُوا عنها وخَلوها لنا

فنزلناها كما قد نَـزَلـوا ونُخَليهـا لقوم بَعْدَنَـا

زرت مريضا بالأمس وزيارة المريض عبادة وعبرة ؛

زرته حباً وإكراماً له .

زرته لأذكره بالله وجزائه لكل صبار شكور .

فذكّرني ووعظني بحاله ومقاله ، إي والله وعظني بعبراته وكلماته

وعظني فقال كلمة عظيمه لامست شغاف قلبي وأبكتني حقاً

قال نحن قوم لا نعرف الله إلا في الشدة

صدق صدق ورب الكعبة

أكثرنا لا يعرف الله إلا في المصائب والأزمات

دعاؤنا بكاؤنا صيامنا صدقاتنا في الشدائد والأزمات

ونبينا يقول تَعَرَّفْ إِلَى اللَّهِ فِي الرَّخَاءِ يَعْرِفْكَ فِي الشِّدَّةِ .

الله أكبر ، تَعَرَّفْ إِلَى اللَّهِ فِي الرَّخَاءِ يَعْرِفْكَ فِي الشِّدَّةِ

ما من مخلوق عند الأزمة والشدّة إلاَّ ويدعو الله مستغيثاً به، لكن السؤال كيف حالنا مع الله في الرخاء؟

كم نسبح الله ونذكره في الرخاء ؟

كم حالنا مع صلاة النفل والفرض في الرخاء ؟

ماذا فعلنا بأموالنا في حال الغنى ؟

ما هو أحوالنا مع الله في الرخاء والسراء ؟

هذا هو المفتاح :

تَعَرَّفْ إِلَى اللَّهِ فِي الرَّخَاءِ يَعْرِفْكَ فِي الشِّدَّةِ

فهذا يونس بن متّى لما سقط في البحر وابتلعه الحوت ، وطوي يونس في ظلماتٍ ثلاث.

وفرعون عدو الله يهوي في ظلمات البحر وترتطم عليه الأمواج .

ويلجأ كلا الغريقين إلى ربهما يونس وفرعون

فيونس ﭽ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﭼ الأنبياء: ٨٧ وفرعون نادى فقال ﭽ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭼ يونس: ٩٠

وارتفعت أصوات الغريقين بالدعاء وسمعت الملائكة دعاء يونس وهو يتضرع في الشدة والظلمة ﭽ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﭼ الأنبياء: ٨٧

فقالت صوت معروف من أرض غريبة قال الله تعالى: أما تعرفونه؟ قالوا: ومن هو؟ قال: عبدي يونس، قالوا عبدك يونس الذي لم يزل يرفع له عمل متقبل ودعوة مستجابة قال: نعم قالوا يا رب أفلا ترحم ما كان يصنع عبدك يونس في الرخاء فتنجيه، وسمعت الملائكة دعاء فرعون فإذا جبرائيل ينزل سريعا إلى فرعون منقذا كلا مغيثا كلا لكنه ينزل فيأخذ من وحل البحر ومن تراب البحر فيدسه في فيه.

لقد دعا كل من الغريقين هذا تشفع له الملائكة، وهذا يدس جبرائيل الوحل في فمه خشية أن تدركه الرحمة ثم يجيء الجواب الإلهي والفصل النهائي على كلا الغريقين فيا ترى كيف كان الجواب؟

أما يونس فكان الجواب بشرى ونجاة

ﭽ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﭼ الأنبياء: ٨٨

وأما فرعون فكان الجواب تبكيت وهلاك ﭽ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﭼ يونس: ٩١

قبل ﭽ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭼ النازعات: ٢٤

الآن يا فرعون عرفت الله ووحدت الله أما قبل فكفر وعصيان وفسق وطغيان.

أما يونس فقبل تسبيح ودعاء وذكر وبكاء

ﭽ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﭼ الصافات: ١٤٣ - ١٤٤.

وهنا هنا يا عباد الله السرُّ في حياة الغريقين في حياة الغريقين يونس كان من المسبحين في الرخاء ، وفرعون كان من المفسدين في الرخاء ، فدعا جميعا في حال الشدة فكان رصيد يونس تسبيح وصلاة وعمل صالح ينجيه وكان رصيد فرعون طغيان وفسق يرديه.

قال الحسن البصري ~ : ما كان ليونس صلاة في بطن الحوت ولكنه قدم عملا صالحا في حال الرخاء فذكره الله في حال البلاء.

وإن العمل الصالح ليرفع صاحبه فإذا عثر وجد متكئا، ورسول الله فيقول: (تَعَرَّفْ إِلَى اللَّهِ فِي الرَّخَاءِ يَعْرِفْكَ فِي الشِّدَّةِ)

وما هذا الحدث القرآني إلا نافذة مشرقة لشدائد ومحن نزلت بأولياء الله فكان لهم مع الله في الرخاء عملا صالحا فعرفهم الله في الشدة فهذا نبي الله أيوب أبتلي في ماله وولده وجسده حتى لم يبق من بدنه عضوا إلا ومسه الضر حتى عافه الصديق والجليس واشتد عليه المرض والكرب فنادى ﭽ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭼ الأنبياء: ٨٣

قال الله ﭽ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭼ الأنبياء: ٨٤

وهذا نبي الله زكريا يصف الله حاله وحال زوجته فقد بلغ من السن عتيا وامرأته عاقر عقيم فنادى في شدة العقم ﭽ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﭼ الأنبياء: ٨٩

قال الله : ﭽ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤﯥ ﭼ الأنبياء: ٩٠

ثم جاء السر العظيم لإجابة دعاء هؤلاء عند الكرب والشّدّة فقال تعالى : ﭽ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﭼ الأنبياء: ٩٠

ﭽ ﯦ ﯧ ﭼ كانوا في الرخاء ، في السراء يسارعون في الخيرات .

ونبيك يقول: (تَعَرَّفْ إِلَى اللَّهِ فِي الرَّخَاءِ يَعْرِفْكَ فِي الشِّدَّةِ).

ولم ينس التاريخ أن يحفظ خبر النفر الثلاثة من بني اسرائيل الذين قصّ النبي خبرهم، فكان خبرهم عجبا فقد سقطوا في ظلمة الكهف وسدت الصخرة فوهة الكهف فإذا بالغار صندوق مغلق ، وأصبح الليل والنهار عندهم سواء ، فأشتد عليهم الأمر وعظم الكرب وقلّ الزاد وجفت الأعناق فاستنطق الله أحدهم فقال والله لا ينجيكم من هذه الشدة إلا أن ندعو الله بصالح أعمالنا في الرخاء ، فدعوا الله بصالح أعمالهم وإذا بالشدة تفرج والصخرة تتحرك تعرف على الله في الرخاء يعرفك في الشدة.

قال رجل لأبي الدرداء أوصني قال: اذكر الله في السراء يذكرك الله في الضراء.

عبد الله تعرف على الله بصالح الأعمال في الرخاء يعرفك في الشدة.

الصحة في الأبدان رخاء، الأمن في الأوطان رخاء، المال رخاء، الفراغ رخاء، الشباب رخاء، فالقوة ستكون ضعفا، والصحة تكون سقما، والشباب يكون هرما، والحياة يعقبها موتا، والكيِّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنَّى على الله الأماني.

يقول ابن رجب يرحمه الله: إن العبد إذا اتقى الله وحفظ حدوده وراعى حقوقه في حال رخائه فقد تعرف بذلك إلى الله وصار بينه وبين ربه معرفة خاصة فعرفه ربه في الشدة وراعى له تعرفه إليه في الرخاء فنجاه الله من الشدائد بهذه المعرفة . (انتهى كلامه)

قال أبو بكر بن عباس لابنه عند موته أترى الله يضيع لأبيك أربعين سنة يختم القرآن كل ليلة.

تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة.

عبد الله إن الجنة التي نصبوا إليها قد حفت بالمكاره وإن النار التي نهرب منها قد حفت بالشهوات .

وإن شدائد الحياة آتية لا محالة، فإن نجوت من شدة المرض فلم تمرض، ونجوت من شدة الهرم فلم يسقط لك سن ولم ينكر لك عقل، فأمامك الشدة التي نزلت برسول الله ، أمامك شدة الموت وأهوال الآخرة، فللموت شدة وكرب، فمن عرف الله في حياته ورخائه عرفه عند مماته ووداعه

ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ فصلت: ٣٠ - ٣٢

أقول قولي هذا وأستغفر الله

الثانية

«مَا أَطْيَبَكِ مِنْ بَلَدٍ وَأَحَبَّكِ إِلَيَّ وَلَوْلَا أَنَّ قَوْمِي أَخْرَجُونِي مِنْكِ مَا سَكَنْتُ غَيْرَكِ» رواه الترمذي وصححه الألباني في المشكاة ( 2724 ).

ما أروعَكِ من كلمات!

كلمات قالها الحبيب @ وهو يودِّع وطنه،

كلمات تكشف عن حبٍّ عميق، وتعلُّق كبير بالوطن، بمكة، وحلِّها وحَرَمها، بجبالها ووديانها، برملها وصخورها، بمائها وهوائها، هواؤها عليل ولو كان محمَّلًا بالغبار، وماؤها زلال ولو خالطه الأكدار، وتربتُها دواء ولو كانت قفارًا.

لا غرابة في حبّ التراب ، والبلد ، والوطن ، والمسكن

قال الجاحظ: "كانت العرب إذا غزَتْ، أو سافرتْ، حملتْ معها من تربة بلدها رملًا وعفرًا تستنشقه".

فالعبد يحبُّ الأرض التي ولد فيها، ونشأ فيها، وشبَّ وتزوَّج فيها، فيها ذكرياتٌ لا تُنسى، فالوطن ذاكرة الإنسان، فيها الأحباب والأصحاب، فيها الآباء والأجداد.

قال الغزالي: "والبشر يألَفُون أرضَهم على ما بها، ولو كانت قفرًا مستوحَشًا، وحبُّ الوطن غريزةٌ متأصِّلة في النفوس، تجعل الإنسانَ يستريح إلى البقاء فيه، ويحنُّ إليه إذا غاب عنه، ويدافع عنه إذا هُوجِم، ويَغضب له إذا انتقص".

قال الحافظ الذهبي - وهو من العلماء المدقِّقين - مُعَدِّدًا طائفةً من محبوبات رسول الله @: "وكان يحبُّ عائشةَ، ويحبُّ أَبَاهَا، ويحبُّ أسامةَ، ويحب سبطَيْه، ويحب الحلواء والعسل، ويحب جبل أُحُدٍ، ويحب وطنه".

فحبُّ الوطن أمرٌ فطريّ ، فقد قرن الله تعالى الإخراج من الديار والأوطان بقتل الأنفس ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠﭡ ﭼ النساء: ٦٦

بِلاَدِي وَإِنْ جَارَتْ عَلَيَّ عَزِيزَةٌ

وَأَهْلِي وَإِنْ ضَنُّوا عَلَيَّ كِرَامُ

بل جعل الله النفيَ والتغريبَ عن الوطن عقوبةً لمن عصى، وأتى من الفواحش ما يَستحق به أن يُعذَّب ويُغرَّب.

فعظموا نعمة الوطن بالنظر إلى إخواننا المشرّدين .

عظموا نعمة الوطن بتذكر إخواننا السوريين التي يهتفون بأبيات نزار :

احتَضنّي .. ولا تناقش جنوني ,,

ذروة العقل يا حبيبي الجنونُ

احتَضنّي .. خمسين ألفاً وألفاً ,,

فمع الضم لا يجوزُ السكونُ

أهي مجنونةٌ بشوقي إليها ,,

هذه الشامُ أم أنا المجنونُ

عظموا نعمة الوطن بالنظر إلى المغتربين والوافدين والمبعدين عن أهلهم وأوطانهم .

تحن الكرام لأوطانها .. حنين الطيور لأوكارها

و تذكر فيها عهود الصبا .. فتزداد شوقا بتذكارها

حبّ الوطن يا كرام قيمة أخلاقية تظهر على السلوك ليست ادّعاءً ولا التواء .

حبّ الوطن أكبر من قصيدةٍ عصماء ، ونشيدةٍ تردّد في الصباح والمساء .

حبّ الوطن يومٌ أطول من يومٍ يتيم ، وأعمق من شعورٍ عابر ، وأبلغ من لوحةٍ أو مظهر أو شعار .

حبّ الوطن يوم وفاءٍ ودعاء ، وشكرٍ لله وثناء .

حبّ الوطن ذوذوٌ عن حياضه ، ومراقبةٌ لممتلكاته ، وحفظٌ لأمنه ، وقيامٌ بحقوقه ،

رِجالَ الغَدِ المَأمولِ إِنَّ بِلادَكُم

تُناشِدُكُم بِاللَهِ أَن تَتَذَكَّروا

عَلَيكُم حُقوقٌ لِلبِلادِ أَجَلُّها

تَعَهُّدُ رَوضِ العِلمِ فَالرَوضُ مُقفِرُ

قُصارى مُنى أَوطانِكُم أَن تَرى لَكُم

يَداً تَبتَني مَجداً وَرَأساً يُفَكِّرُ

فَكونوا رِجالاً عامِلينَ أَعِزَّةً

وَصونوا حِمى أَوطانِكُم وَتَحَرَّروا

كيف يدعي حبّ الوطن من يعبث بأمنه ، ويهدر ممتلكاته ، ويسعى في الأرض فساداً ؟

كيف يدعي حبّ الوطن من لا يتحدّث إلا عن عوراته ، وخلله ونقصه ، وينسى كرمه وفضله وأمنه .

حبّ الوطن ، بيعةٌ وأمانةٌ في أعناقنا .

حبّ الوطن أفعالٌ لا أقوال ، أمانةٌ لا خيانة .

فالوطن كريمٌ عزيزٌ جميلٌ حبيبٌ ولو لم يكن كذلك .

بِلاَدِي هَوَاهَا فِي لِسَانِي وَفِي دَمِي

يُمَجِّدُهَا قَلْبِي وَيَدْعُو لَهَا فَمِي

ولا خيرَ فيمن لا يحبُّ بلادَهُ

ولا في حليفِ الحب إن لم يتيم

ومن تؤوِهِ دارٌ فيجحدُ فضلها

يكن حيواناً فوقه كل أعجمِ

ألم ترَ أنَّ الطيرَ إن جاءَ عشهُ

فآواهُ في أكنافِهِ يترنم

ومن يظلمِ الأوطان أو ينسَ حقها

تجبه فنون الحادثات بأظلم

ولا خيرَ فيمنْ إن أحبَّ دياره

أقام ليبكي فوقَ ربعٍ مهدم

وما يرفع الأوطانَ إلا رجالها

وهل يترقى الناسُ إلا بسلم